



# بناء الجسور بين الثقافات من خلال سيرة

## الرسول محمد  

محاضرة يلقيها:

أ.د. / عادل بن علي الشدي

عضو اللجنة العليا لبرنامج التبادل المعرفي

وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد

المملكة العربية السعودية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه

### تمهيد:

يسرني في البداية أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى جامعة ميغيل العريقة ممثلة في مركز معهد الدراسات الإسلامية على الدعوة الكريمة التي تلقيتها لزيارة الجامعة وعقد هذا اللقاء الطيب الذي يعد في حد ذاته وسيلة من وسائل بناء الجسور بين الثقافات خصوصا وأني قد أتيتكم من قلب العالم العربي والإسلامي ومن قبلته حيث مكة المكرمة والمدينة المنورة مهد الإسلام ومنطلق رسالة النبي محمد ﷺ .

### مقدمة: لماذا الحديث اليوم عن بناء الجسور بين الثقافات؟

العالم اليوم بأمس الحاجة إلى بناء جسور التفاهم توثيق عرى التعاون لمواجهة مجموعة من الأخطار منها:

- شيوع حملات الكراهية والازدراء بين الشعوب الثقافات وأتباع الأديان.
- انتشار سوء الفهم للآخر.
- الخواء الروحي وانتشار الإلحاد.
- ما يشبه الانهيار لمؤسسة الأسرة القائمة على الزواج بين الجنسين.
- انتشار المخدرات بين الشباب.
- الاحتلال والظلم والتسلط.
- الإرهاب والتدمير وقتل الأبرياء.

فهذه الأخطار وغيرها تدعو العقلاء ومحبي الخير إلى المبادرة إلى بناء الجسور والتفاهم لدرء الأخطار وبناء المستقبل.

### أهمية فهم سيرة الرسول محمد ﷺ باعتبارها التطبيق العملي لتعاليم القرآن

إذا نظرنا إلى مواقف غير المسلمين من الإسلام نجدها في أغلبها مواقف لم تبني على أساس سليم؛ ذلك أن بعض الناس يحكم على الإسلام من خلال تصرفات بعض المنتسبين إليه رغم ما يعتري تلك التصرفات من تجاوزات وأخطاء ومصادمة لتعاليم الإسلام؛ فمن قام بجريمة الحادي عشر من سبتمبر في نيويورك وواشنطن ومن قام بجريمة ٧/٧ في لندن حاولوا أن يلصقوا إجرامهم بتعاليم دينية، وكذلك من قام بجريمة أوكلاهوما سيتي في الولايات

المتحدة وجريمة قتل الأبرياء في النرويج مؤخرا كلهم حاولوا إلصاق جرائمهم بتعاليم ومنطلقات دينية.

كما أننا نلاحظ أيضا أن بعض الناس أحكامهم على الإسلام وثقافته من خلال قراءة مبتسرة لبعض نصوص القرآن الكريم مثل أخذ جزء من آية قرآنية ورد فيها M " ! # L (البقرة ١٩١) فيدعي أن الإسلام يحرض على القتل والعنف، من غير أن يكلف نفسه دراسة شاملة لنصوص القرآن لتبين الحق من غيره، ولو تأمل الباحثون عن حقيقة دين الإسلام لوجدوا أن أنسب الطرق وأصحها لإدراك تلك الحقيقة هي النظر إلى كيفية تطبيق الرسول محمد ﷺ لتعاليم ذلك الدين؛ فعليه أنزل القرآن وهو أدري به، وقد كان بحق نبي رحمة كما وصفه القرآن الكريم M ل d c ba (سورة الأنبياء: ١٠٧).

### موقف الرسول محمد ﷺ من بناء الجسور بين الثقافات

من خلال دراستي المعمقة للسيرة النبوية خلال السنوات العشر الماضية أستطيع القول بأن تعامل الرسول محمد ﷺ مع المنتمين لثقافات وأديان أخرى غير الإسلام يمر بأربع مراحل تصاعدية؛ التعارف، فالتآلف، فالتعاون وأخيرا التحالف، وكل مرحلة من تلك المراحل مؤيدة بدليل صريح من نصوص القرآن وتطبيقات عملية من سيرة الرسول ﷺ، وبيان تلك المراحل فيما يأتي:

مرحلة التعارف: قال تعالى: M E F G H I J K L M N O (الحجرات من الآية ١٣)، فالإسلام ينظر إلى اختلاف الألوان، واختلاف الطبائع والأخلاق، واختلاف المواقف والاستعدادات باعتباره تنوعا إيجابيا يقتضي التعاون ولن نهوض بجميعا لتكاليف الوفاء بجميعا لحاجات، ومتى أدرك الناس الحكمة من هذا التنوع توارت معظم أسباب النزاع بين بني البشر، وقد جاء في القرآن الكريم M " ! # \$ % & ' ( ) \* + , - . / O (سورة هود ١١٨ - ١١٩).

والناظر في سيرة الرسول محمد ﷺ يجد العمل بهذا التوجيه منبثا فيها، نشير منه على سبيل المثال إلى قوله ﷺ العدي بن حاتم أحد قادة قبيلة طي العربية وكان يوم ذاك على الديانة النصرانية وقد دخل عليه في المسجد بعد السلام: (من الرجل؟) <sup>(١)</sup> لينبه أصحابه رضوان الله عليهم على أهمية خلق التعارف، وكان يذهب بنفسه لأسواق العرب ومنتدياتهم وقراهم فيعرفهم بنفسه ودعوته ويتعرف عليهم، بل وصل في ذلك إلى درجة معرفته أن في الحبشة - وهي منطقة بعيدة

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن كثير: ٤/ (١٢٣ - ١٢٦)، وابن هشام في سيرته: ٥/ ٢٧٨، وابن سيد الناس في عيون الأثر: ٢/ (٣٢٠ - ٣٢١).

جدا عن مكة بمقاييس ذلك الزمان - ملكا عادلا لا يظلم عنده أحد وهو النجاشي، ولذلك أرسل بعض أصحابه الذين كانوا يعذبون في مكة إليه ليأمنوا على أنفسهم<sup>(١)</sup>.

**مرحلة التألف: قال تعالى:** IM NMLKJ [Y X W VU T S RQ PO] \ ^ (سورة الممتحنة ٨)، فالآية تدل على البرّ بكل من كان على تلك الصفة من جميع أصناف الملل والأديان<sup>(٢)</sup>، وأقوى عرى التألف البر والإحسان، وتطبيق هذا التعليم في السيرة مطرد جلي؛ فمنه اصطحاب النبي ﷺ عديا إلى بيته وإكرامه بالمتاح في بيته<sup>(٣)</sup>، وتلطفه في حوار مع عتبة بن ربيعة؛ أحد وجهاء قبيلة قريش العربية وقد جاء لصدّه ﷺ عن دعوته وقوله له: (أفرغت يا أبا الوليد؟)<sup>(٤)</sup>، وإنزاله وفد نصارى نجران الذين قدموا إليه في المسجد<sup>(٥)</sup> قبل وفاته بسنة واحدة وأمره من يقوم على خدمتهم.

وقد ذكر العلماء عن البر الوارد في الآية القرآنية السابقة أن البر بالمسلمين غير المسلمين يشمل الرقيق بضعفهم، وسدخلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم، والدعاء لهم بالهداية وأن يجعلوا من أهل السعادة، وذ صيحتهم في جميع أمورهم؛ فيدينهم ودينهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرضوا لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقهم وقهم ومصالحهم، وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم، وإيصالهم لجميع حقوقهم<sup>(٦)</sup>.

**مرحلة التعاون: قال تعالى:** M: 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100 101 102 103 104 105 106 107 108 109 110 111 112 113 114 115 116 117 118 119 120 121 122 123 124 125 126 127 128 129 130 131 132 133 134 135 136 137 138 139 140 141 142 143 144 145 146 147 148 149 150 151 152 153 154 155 156 157 158 159 160 161 162 163 164 165 166 167 168 169 170 171 172 173 174 175 176 177 178 179 180 181 182 183 184 185 186 187 188 189 190 191 192 193 194 195 196 197 198 199 200 201 202 203 204 205 206 207 208 209 210 211 212 213 214 215 216 217 218 219 220 221 222 223 224 225 226 227 228 229 230 231 232 233 234 235 236 237 238 239 240 241 242 243 244 245 246 247 248 249 250 251 252 253 254 255 256 257 258 259 260 261 262 263 264 265 266 267 268 269 270 271 272 273 274 275 276 277 278 279 280 281 282 283 284 285 286 287 288 289 290 291 292 293 294 295 296 297 298 299 300 301 302 303 304 305 306 307 308 309 310 311 312 313 314 315 316 317 318 319 320 321 322 323 324 325 326 327 328 329 330 331 332 333 334 335 336 337 338 339 340 341 342 343 344 345 346 347 348 349 350 351 352 353 354 355 356 357 358 359 360 361 362 363 364 365 366 367 368 369 370 371 372 373 374 375 376 377 378 379 380 381 382 383 384 385 386 387 388 389 390 391 392 393 394 395 396 397 398 399 400 401 402 403 404 405 406 407 408 409 410 411 412 413 414 415 416 417 418 419 420 421 422 423 424 425 426 427 428 429 430 431 432 433 434 435 436 437 438 439 440 441 442 443 444 445 446 447 448 449 450 451 452 453 454 455 456 457 458 459 460 461 462 463 464 465 466 467 468 469 470 471 472 473 474 475 476 477 478 479 480 481 482 483 484 485 486 487 488 489 490 491 492 493 494 495 496 497 498 499 500 501 502 503 504 505 506 507 508 509 510 511 512 513 514 515 516 517 518 519 520 521 522 523 524 525 526 527 528 529 530 531 532 533 534 535 536 537 538 539 540 541 542 543 544 545 546 547 548 549 550 551 552 553 554 555 556 557 558 559 560 561 562 563 564 565 566 567 568 569 570 571 572 573 574 575 576 577 578 579 580 581 582 583 584 585 586 587 588 589 590 591 592 593 594 595 596 597 598 599 600 601 602 603 604 605 606 607 608 609 610 611 612 613 614 615 616 617 618 619 620 621 622 623 624 625 626 627 628 629 630 631 632 633 634 635 636 637 638 639 640 641 642 643 644 645 646 647 648 649 650 651 652 653 654 655 656 657 658 659 660 661 662 663 664 665 666 667 668 669 670 671 672 673 674 675 676 677 678 679 680 681 682 683 684 685 686 687 688 689 690 691 692 693 694 695 696 697 698 699 700 701 702 703 704 705 706 707 708 709 710 711 712 713 714 715 716 717 718 719 720 721 722 723 724 725 726 727 728 729 730 731 732 733 734 735 736 737 738 739 740 741 742 743 744 745 746 747 748 749 750 751 752 753 754 755 756 757 758 759 760 761 762 763 764 765 766 767 768 769 770 771 772 773 774 775 776 777 778 779 780 781 782 783 784 785 786 787 788 789 790 791 792 793 794 795 796 797 798 799 800 801 802 803 804 805 806 807 808 809 810 811 812 813 814 815 816 817 818 819 820 821 822 823 824 825 826 827 828 829 830 831 832 833 834 835 836 837 838 839 840 841 842 843 844 845 846 847 848 849 850 851 852 853 854 855 856 857 858 859 860 861 862 863 864 865 866 867 868 869 870 871 872 873 874 875 876 877 878 879 880 881 882 883 884 885 886 887 888 889 890 891 892 893 894 895 896 897 898 899 900 901 902 903 904 905 906 907 908 909 910 911 912 913 914 915 916 917 918 919 920 921 922 923 924 925 926 927 928 929 930 931 932 933 934 935 936 937 938 939 940 941 942 943 944 945 946 947 948 949 950 951 952 953 954 955 956 957 958 959 960 961 962 963 964 965 966 967 968 969 970 971 972 973 974 975 976 977 978 979 980 981 982 983 984 985 986 987 988 989 990 991 992 993 994 995 996 997 998 999 1000

(١) ينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٢٥٩/٤، ح ١٨٣٠٤.

(٢) تفسير الطبري: ٣٢٣/٢٣.

(٣) ينظر: ابن هشام في سيرته: ٢٧٨/٥، وابن سيد الناس في عيون الأثر: ٢/٣٢٠ - ٣٢١.

(٤) أخرج القصة ابن إسحاق في سيرته: ١/٢٤٣ - ٢٤٤، وابن كثير في تفسيره: ١١١/٤، والسيوطي في الدر المنثور: ٣٠٩/٧.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ١١٤/٣.

(٦) الفروق: ٣٠/٣.

(٧) ينظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: ١٣/٢١٤.

(٨) ينظر: المستدر كعلی الصحيحين للحاكم: ٦٢٨/١.

وقد نص المفسرون للآية القرآنية السابقة على أن التعاون على الخير مطلوب حتى مع المخالفين الذين يصدون المسلمين عن بعض شعائر دينهم<sup>(١)</sup>.

**مرحلة التحالف:** قال تعالى OM 2 1 543 L (التوبة من الآية ٧) ، وقد ودخلت قبائل غير مسلمة في حلف الرسول محمد ٣ في المعاهدة التي عقدها مع قريش قبل إسلامها في صلح الحديبية<sup>(٢)</sup>، وقال ٣ (لقد شهد تفيدار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحباً نلبيهم حمراً ناعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت)<sup>(٣)</sup> يثني عليه مع كونه كان مع غير مسلمين، فالإسلام لا يشترط أن يكون الطرف المسلم هو صاحب فكرة الحلف والمبادرة إليه ليدخل فيه، بدليل احتفاء النبي ٣ بحلف الفضول مع أن متزعمه كان عبد الله بن جدعان أحد وجهاء قبيلة قريش العربية ولم يكن مسلماً.

### نظرة إلى الواقع المعاصر:

يحق للمراقب أن يتساءل عن واقع الجهود المبذولة اليوم لبناء جسور التفاهم بين أتباع الأديان والثقافات سواء أكان مصدر هذه الجهود من العالم الإسلامي الذي أعترف بالانتماء إليه أو من الغرب الذي تنتمي إليه هذه الجامعة العريقة التي نلتقي في رحابها اليوم، وحتى لا يطول الحديث في هذا المقام فإني سأكتفي بإيراد أمثلة مما أعرفه من الجهود والمبادرات النابعة من بلادي المملكة العربية السعودية بوصفها مهد الإسلام وحاملة رسالته وقبلة المسلمين، فمن ذلك:

— **برنامج التبادل المعرفي:** الذي أقامته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بإشراف معالي الوزير الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ وهو برنامج يرمي إلى التعاون بين أتباع الأديان لمحاصرة التطرف الديني، ومواجهة دعاة صدام الحضارات.

وقد شرفت بالمشاركة في تأسيسه وعضوية لجنته العليا، ويسرني أن أوزع مع هذه المحاضرة نبذة تعريفية به.

— **إنشاء كرسي للسيرة النبوية بجامعة الملك سعود** يعنى بتقديم الدراسات في مجال ترسيخ التعاون بين الحضارات، وبيان المنهج النبوي في ذلك. وقد كلفت بالإشراف عليه، ويسرني أن أوزع مع المحاضرة بعض النشرات والإصدارات التي قام بطباعتها.

(١) ينظر: التحرير والتنوير لطاهر عاشور: ٨٧/٦.

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٢٧٦/٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير: ٣٣٠/٣ ، والرحيق المختوم: ص ٢٩٥ ، ومنهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية: ص ٧٧

(٣) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب قسم الفيء، باب إعطاء الفيء على الديوان: ٣٦٧/٦، ح ١٣٤٦١.

- إنشاء هيئة عالمية للتعريف بالرسول ٣ ونصرتة تعنى بالتواصل الحضاري وإبراز ما في السيرة النبوية من هدي وقيم إنسانية، ولها على شبكة الإنترنت موقع إلكتروني بعشر لغات منها الإنجليزية يحوي مئات المقالات عن التواصل الحضاري.
- إطلاق الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود مبادرته للحوار بين أتباع الأديان والثقافات بما لها من منطلقات إنسانية وأصول دينية، أوصلت إلى إنشاء مركز عالمي للحوار في فيينا.
- ولست أشك أن هناك جهودا أخرى في الجهة المقابلة وأعني العالم الغربي، ولا سيما من خلال الجامعات تسعى لترسيخ الحوار الإيجابي لبناء وتحقيق التفاهم بين أتباع الأديان والثقافات.

### أبرز نتائج جهود بناء الجسور بين الثقافات

١. تخفيف حدة الاحتقان بين المنتسبين للثقافات والأديان في العالم.
٢. تحقيق فهم أكبر للثقافات والأديان.
٣. إبعاد الأديان والثقافات عن أن تكون ذريعة للاعتداء والظلم أو تبريرا للقيام به.
٤. إضعاف حجة المتطرفين والغلاة من جميع الأديان والثقافات، وسحب البساط من تحت أقدامهم.
٥. تخفيف الضغط الواقع على الأقليات الدينية والثقافية في المجتمعات الغربية وزيادة الاندماج الإيجابي في المجتمع.

### نظرة إلى المستقبل

- أهمية استمرار تلك الجهود الإيجابية لبناء الجسور بين الثقافات والحضارات.
  - تشجيع العمل المؤسسي الدائم المحفز لبناء الجسور بين الثقافات.
  - تجنب الحوارات النقدية المستفزة الموجهة للأديان والثقافات والرموز الدينية.
  - عزل المتطرفين ونزع الغطاء الديني والثقافي عنهم.
- وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر والتقدير لجامعة ميغيل في مونتريال بكندا على إتاحة الفرصة وإبداء الاستعداد للتعاون فيما يحقق هذا الهدف النبيل؛ وهو بناء الجسور بين الثقافات.

## ثبت المراجع

١. التحرير والتتوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.
٢. تفسير ابن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمود حسن، دار الفكر، الطبعة الجديدة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٣. تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٤. الدر المنثور، لعبد الرحمن بن الكمال السيوطي، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٣م.
٥. الرحيق المختوم: للشيخ خضيفة الدين المباركفوري، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة السابعة عشرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٦. السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي، حيدرآباد، مجلس دائرة المعارف النظامية، الطبعة الأولى، ١٣٤٤هـ.
٧. السيرة النبوية، لإسماعيل بن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة.
٨. السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤف سعد، دار الجيل - بيروت، ١٤١١هـ.
٩. السيرة النبوية، لمحمد بن إسحاق، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
١٠. السيرة النبوية، لعبد الملك بن هشام الشهير بان هشام (ت ٢١٣هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ.
١١. عيون الأثر في فنون المغازي والشمال للسير، محمد بن محمد بن سيد الناس، تحقيق: د/محمد العيد الخطراوي، ومحبي الدين ميستو، مكتبة التراث - المدينة المنورة، ودار ابن كثير - دمشق.
١٢. الفروق وأنوار البروق في أنواء الفروق، أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
١٣. كنز العمال في سنن الأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي تحقيق: بكري حيان - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١٤. المستدرک على الصحيحين لمحمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
١٥. المسند، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
١٦. منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، سليم عبد الله حجازي، دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.